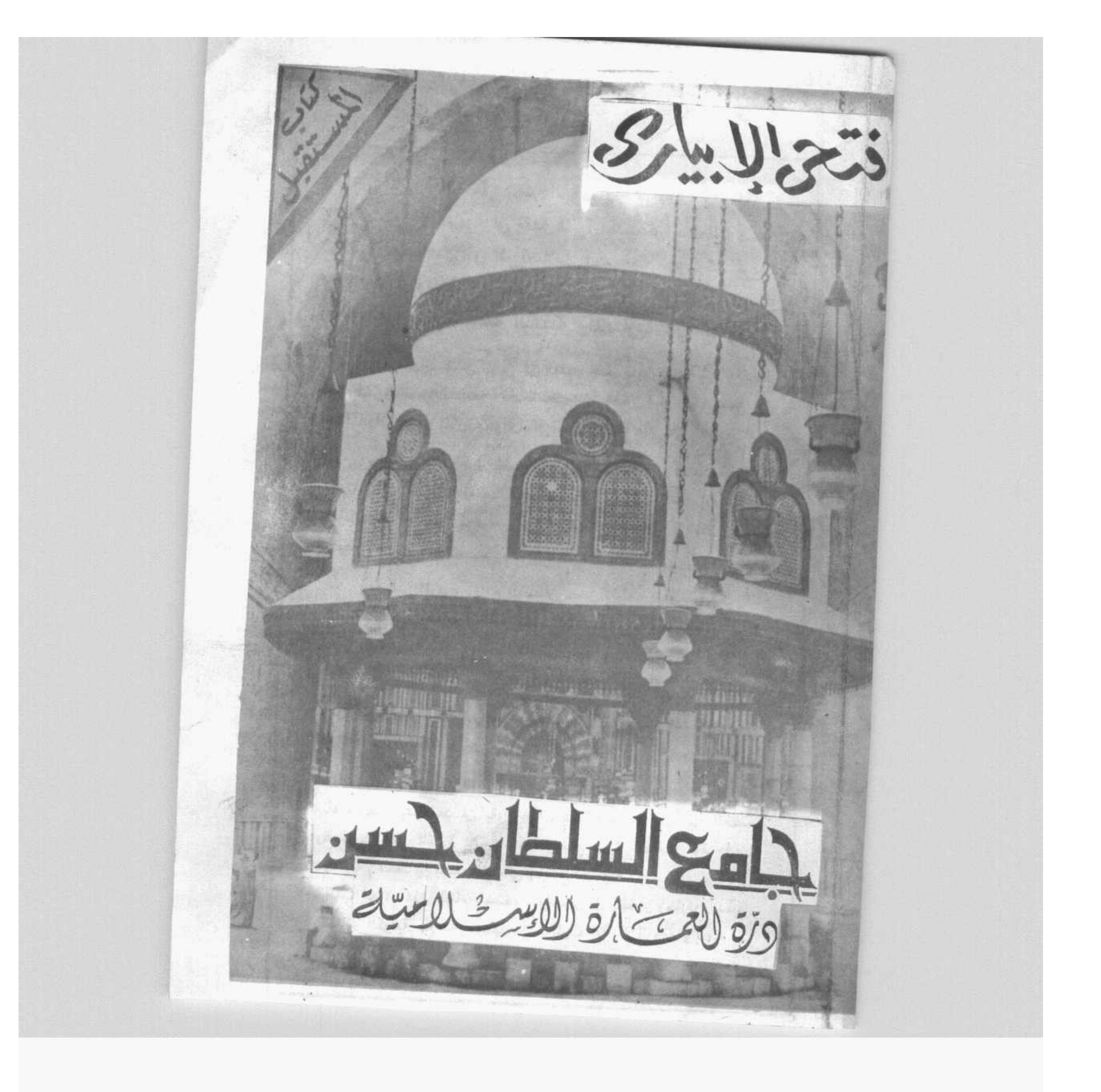


كتاب المستقبل
فتحي الإبياري
جامع السلطان حسن
درة العمارة الإسلامية

اذا كان لمصر الفرعونية ان تفخر باهراماتها فان لمصر الاسلامية ان تتيه فخرا بمدرسة السلطان حسن التى لا يضاهيها اى اثر اسلامى آخر . فقد حوت كل غريب وجديد وفريد . كما تمثلت فيها كل مقومات المدرسة الاسلامية من الناحية الدينية والمعمارية على السواء ..

ومدرسة السلطان حسن من مفاخر العمارة الاسلامية ، لا يعادلها بناء اخر فى الشرق باجمعه ، فقد جمعت شتى الفنون فيها . وقد أجمع على هذا الرأى جميع المؤرخين والرحالة الذين زاروها فقد قال « ابيرس » .

« ان كل ما نراه فى جامع السلطان حسن مركب فى مكانه تركيبا هادئا منسجما . فاذا امعنت النظر فى زخارف ايوان القبلة ، وقبة القبر جزءا جزءا أحسست أحساس الرضا . فهناك ثروة فنية واشكال رشيقة بديعة ...

ويصف المقريزى جامع السلطان حسن بقوله : « فلايعرف فى بلاد الاسلام معبد من معابد المسلمين يحاكى هذا الجامع ، وقبته ، لم يبن بديار مصر والشام والعراق والمغرب واليمن مثلها » .

ونسب الطوائى « مقبل الشامى » الى السلطان حسن انه قال : « لولا ان يقال ان ملك مصر عجز عن اتمام بناء بناه لتركت هذا الجامع من كثرة ما صرف عليه »

ويقول حسن عبد الوهاب الذى كان اول من قرأ اسم المهندس الذى بناه « وليس بمستبعد ان يقول هذا ، فالبناء شامخ يدل على العظمة والجبروت وعلى القدرة الفنية ، كما يوضح كثرة النفقات . وقد أجاد مهندسه (محمد بن بيليك المحسنى) وضع تصميمه ، ونجح كل النجاح فى تناسب اجزاء هذا البناء الضخم ، واحسن فى اختيار زخارفه الدقيقة وكتاباته الكوفية مع ما يحوطها من زخارف آية فى الروعة والبهاء » .

وكتب عنه چومار فى كتاب وصف مصر :

« انه من اجمل مبانى القاهرة والاسلام ، ويستحق ان يكون فى

المرتبة الاولى من مراتب العمارة العربية الاسلامية بفضل قبته العالية وارتفاع مئذنته وعظم اتساعه وفخامته وكثرة زخارفه التى تكسو الارضية والجدران فى اوضاع بسيطة خاصة بهذه العمارة .. كما ان محاشى الخشب والبرونز التى تكسو الابواب الخشبية والنحاسية محفورة حفرا فنيا » .

ويقول الرحالة المغربى « الورتيلانى » وقد زار مصر فى القرن الثانى عشر الميلادى .. انه مسجد لا ثانى له فى مصر ولا فى غيرها من البلاد فى فخامة البناء ونباهته ، وارتفاعه واحكامه ، واتساع حناياه وسعة ابوابه كانه جبال منحوته ، تصفق الرياح فى ايام الشتاء بأبوابه كما تفعل فى شواهق الجبال .

والمؤرخ ابن تغرى بردى يقول عن المدرسة « ان هذه المدرسة ومئذنتها وقبتها من عجائب الدنيا ، وهى أحسن بناء بنى فى الاسلام » .

وكتب عنه المصور لينوار .. « ان جامع السلطان حسن المملوكى يشرف على القاهرة كلها واسلوب بنائه من ارقى الاساليب المعمارية ، ومساحته عظيمة ، ولذا يعد اجمل جامع فى الشرق كله بلا نزاع » .

قصة السلطان حسن

وهناك أقوال كثيرة للمؤرخين ، والعلماء الذين زاروا قمة الفن الاسلامى فى مصر الممثل فى مدرسة السلطان حسن . ويتساءل البعض من هو السلطان ، وما هى قصة هذه التحفة الاسلامية النادرة التى يحرص الالاف من السياح على مشاهدتها ، وتسجيلها بآلات التصوير ليعرضوها فى بلادهم من أنحاء العالم .

فالسلطان حسن : هو الملك الناصر حسن بن السلطان المنصور قلاوون . ولد فى سنة ٧٣٥هـ ـ ١٣٣٤ م وسمى اولا (قمارى) ولما ولى ملك مصر اختار اسم « حسن » فعرف به . وقد ماتت امه وهو صغير ، فتولى تربيته « خوند اردو » . وقد ولى الملك وعمره ثلاث عشرة سنة . وهو السلطان التاسع عشر بين الملوك الترك بالديار المصرية ، والسابع من اولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون .

وكان أمر المشورة فى الدولة والتدبير لتسعة امراء . وفى السنة الثانية تحكم السلطان حسن ، ظهر وباء الطاعون ، وقام المماليك بعمليات نهب وسلب المصريين . وفرض الاتاوات على الرعية . فكان يموت بالقاهرة ومصر مابين عشر الاف الى خمسة عشر الف فى كل يوم . وعملت الناس التوابيت والدكك لتغسيل الموتى حسبة لوجه الله بغير اجر ، وحفرت المقابر والقيت فيها الموتى . فكانت الحفرة يدفن فيها الثلاثون والاربعون واكثر واتصل وباء (الطاعون » ببلاد الشرق جميعا .

وفى سنة ٧٥١ هـ اثبت القضاة ان السلطان حسن قد بلغ سن الرشد فتولى تدبير امور الملك بنفسه وعندئذ قبض على الاميرين سنجك وبيغاروس ، مما دعا باقى الامراء الى التآمر عليه واقصائه عن الملك . واجبروه على التنازل عن السلطنة وكان ذلك سنة اثنين وخمسين وسبعمائة . وكانت مدة ولايته ثلاث سنين وتسعة اشهر واربعة عشر يوما واعتقلوا فى الدور السلطانية وعينوا اخاه الملك الصالح صالح .

والملك الناصر حسن كان مفرط الذكاء ، عاقلا ، وفيه رفق بالرعية ، متدينا شهما لو وجد ناصرا او معينا لكان أجل الملوك كما تبين ذلك فى سلطنته الثانية .

فى سنة ٧٥٥ هـ اتفق صرغتمش مع الامير شيخون على خلع الملك الصالح صالح بن الملك الناصر محمد الذى حل فى الملك فكان اخيه الملك الناصر عن الملك وسلطنة الملك الناصر ثانية فأبرموا ذلك ثم دخلوا الى القلعة وارسلوا فى طلب الملك الصالح ، فلما توجه اليهم اخذ من الطريق وحبس وقالوا بانه خلع نفسه من السلطنة ثم طلبوا الملك الناصر حسن من مجلسه بالقلعة وكلموه فى العودة على شروط قبلها ، وبايعوه ثانية بالسلطنة واقبل عليه الامراء مظهرين الولاء والطاعة .

ومات الامير شيخون متأثرا من الجرح الذى اصابه به المملوك

(قطلوخجا) . وعندئذ التفت السلطان حسن الى انشاء مماليكه ، فأمر منهم جماعة كثيرة . ويعتبر السلطان حسن اول سلطان يتجه الى ابناء المصريين ويوليهم القيادة لكى يجعل منهم درعا يقيه شر المماليك الاتراك . ولكن خطته انكشفت للمماليك فتآمروا عليه .

وقد قال المقريزى : امر السلطان حسن لاول مرة فى تاريخ الدولة التركية اولاد الناس ليستعين بهم عن الجند التركى ولكنه عوجل قبل ذلك . ولم يأت بعده من أحيا تلك الفكرة الا ابن اخيه الاشرف شعبان بن حسين ، فانه اتخذ من المصريين امراء المماليك ولكنه عوجل كعمه وخمدت الفكرة بموتهما » .

وبعد موت شيخون انفرد صرغتمش بتدبير المملكة ، وعظم امره ، ولم يقنع بذلك بل رغب فى الونوب على الملك الناصر حسن وانتزاع الملك منه ، فبلغ الناصر ذلك ، فاتفق مع جماعة من الامراء على مسكه عند دخوله على السلطان ، فلما كان وقت دخوله ، وقفوا له فى مكان رتبهم السلطان فيه فلما دخل صرغتمش احتاطوا به وقبضوا عليه . فلما بلغ مماليكه خبر القبض عليه ركبوا السلاح . وطلعوا الى الرميلة ، فنزل اليهم المماليك السلطانية من القلعة وقاتلوهم الى ان كان النصر لمماليك السلطان .

وفى سنة اثنين وستين وسبعمائه بلغ الملك الناصر حسن ان مملوكه (يلبغا العمرى) ينتقد اعماله فاراد القبض عليه ، وكان ذلك بناحية الجيزة عند خروج السلطان للصيد ومعه غالب امرائه ومنهم يلبغا ، فنم بعض خدم السلطان بذلك الى يلبغا فاستعد للامر ولما قارب السلطان لمخيم يلبغا للقبض عليه خرج اليه يلبغا بمن معه وقاتله فلم يثبت السلطان لقله من كان معه من مماليكه وانكسر وهرب وأنتقل الى البر الشرقى من النيل وطلع الى قلعة الجبل ليلا وتبعه يلبغا ومن معه الى القلعة . ولما لم يجد السلطان حسن قوه كافية بالقلعة يلاقى بها يلبغا تخفى هو ومساعده فى زى

الاعراب وعزما على الهرب للشام . فنزلا من القلعة عند الفجر ، فلقيهما بعض المماليك ، فامسكوهما فى الحال . واحضروهما الى بيت الامير شرف الدين الازكشى فحملهما الى يلبغا حال صعود يلبغا الى القلعة فقتلهما . وكان ذلك فى جمادى الاولى ٧٦٢ هـ - ١٣٦١ م وكان هذا اخر العهد به حيث لم يعرف به قبر .

وكان رحمه الله ملكا حازما شجاعا منزها عن كثير من نقائص المماليك ، وكان ينفر منهم ويقرب غيرهم من ابناء الاسر ويعينهم فى حاشيته .

مدرسة السلطان حسن

وقد ذكر المقريزى فى خططه ان السلطان حسن ابتدأ فى عمارة مدرسته سنة ٧٥٧ هـ واستمر العمل بها ثلاث سنوات بلا انقطاع . ومفهوم المدرسة هو المسجد من حيث اقامة الشعائر الدينية واقامة الخطبة فيها . وقد ظهر تصميم المدرسة فى نهاية العصر الفاطمى واعدت لدراسة المذاهب السنية ومكافحة مذهب الشيعة . وكانت الاسكندرية اسبق من مصر فى انشاء المدارس . وهى تختلف عن تصميم المسجد اذ أن تصميمها اربعة ايوانات متعامدة ويلحق بها مساكن للطلبة وقبة لدفن المنشىء .

ويقول المقريزى ان بهذا الجامع عجائب من البنيان ، منها ان ذراع ايوانه الكبير خمسة وستون ذراعا فى مثلها ويقال انه اكبر من ايوان كسرى الذى بالمدائن فى العراق ومنها القبة العظيمة التى لامثيل لها فى البلاد الاسلامية . ومنها المنبر الرخام الذى لانظير له ومنها البوابة العظيمة والمدارس الاربع بدور قاعة الجامع .

ونستطيع ان نذهب الى جامع السلطان حسن من ميدان العتبة فنخترق شارع محمد على ولنجد قمة العمارة الاسلامية تواجهك فى ميدان صلاح الدين . وهو الميدان الكبير تحت القلعة . وعرف قديما بالميدان ،

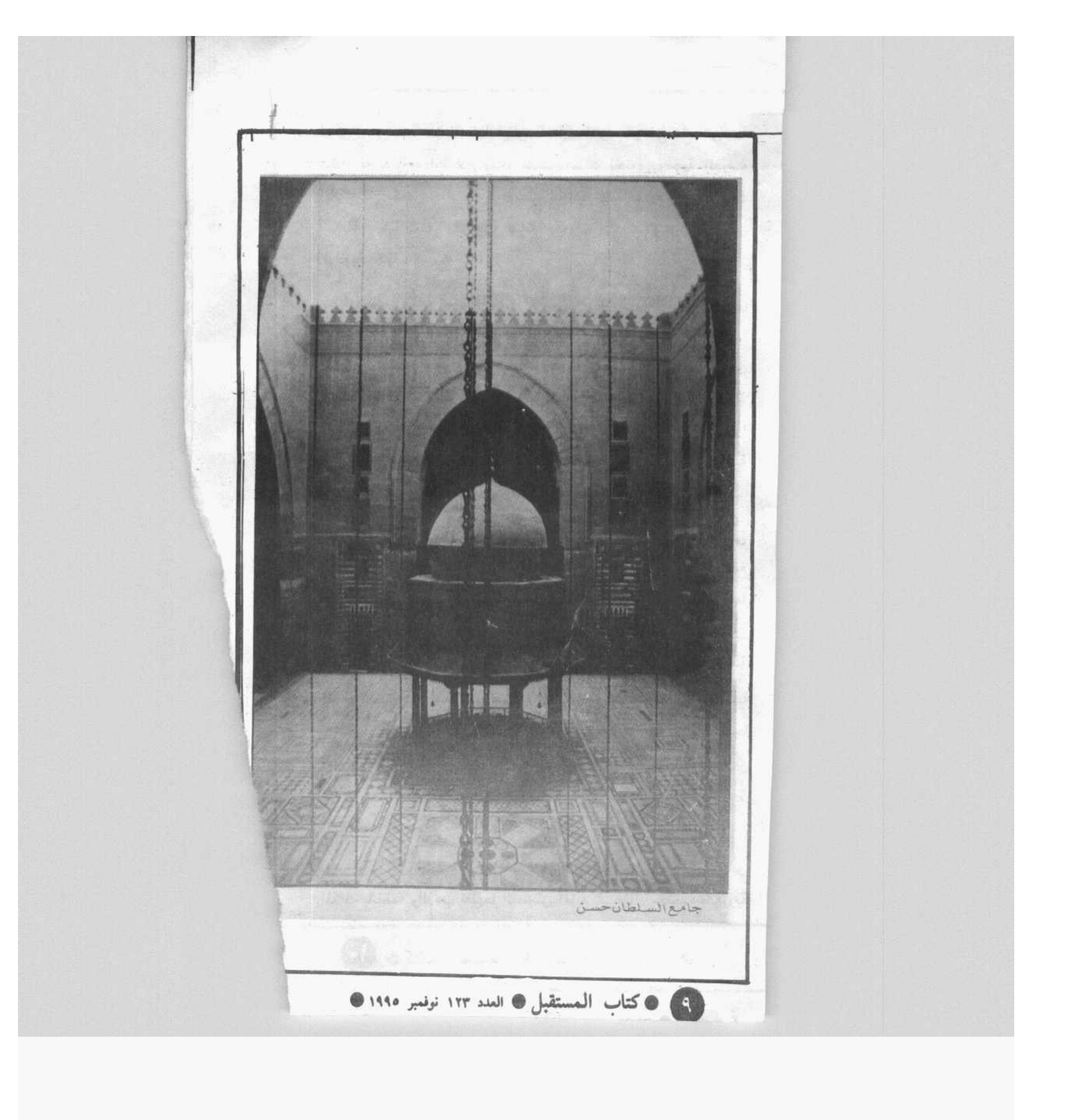
وبالرميلة ، وبسوق الخيل ، بوابة المنشية ، ثم بسوق العصر . ثم اطلق عليه اسم صلاح الدين .

وعندما تصل الى جامع السلطان ، تقف امامه مبهورا من هذه الروعة المعمارية الاسلامية وتتجسد امامك احداث التاريخ .. وتستنشق عبق التاريخ بما فيه من قصص وروعة واصرار .. بالرغم من ان مصر قد احتاجها وباء الطاعون ، فقد اصر السلطان حسن على الاستمرار فى بناء هذا الجامع الضخم . والالاف من السياح والزوار يدخلون الجامع العملاق . دون ان يلاحظوا .. ذلك النقش الخاص الصغير الذى نبهنى اليه الدكتور حسنى نويفر . وهذا النقش الصغير الذى نبهنى اليه تجده على يمينك وانت داخل الى الجامع من الباب الرئيسى . وهو عبارة عن تصميم صغير لواجهة الجامع ، حتى اذا اصيبت الواجهة باية ضرر . يمكن الرجوع الى هذا التصميم اذا فقدت تصميمات المدرسة الاصلية .

وتشغل المدرسة مساحة كبيرة من الارض فهى ما يقرب من فدانين ، اذ تبلغ مساحتها (٧٩٠٦) امتار مربعة . وهى على شكل مستطيل غير منتظم الاضلاع وهى خالية من جميع الجهات . ولذلك فهى تحتوى على اربع واجهات .

وتقع الواجهة الرئيسية للمدرسة فى الضلع الشمالى ويبلغ طوله (١٤٥) مترا وقد زخرفت هذه الواجهة باثنتى عشرة حنيه تمتد بارتفاع الواجهة الذى يبلغ ٣٧٫٨٠ مترا . ولما كانت المدرسة تحتوى على اربعة طوابق ولذلك فان كل طابق يفتح فيه صفان من النوافذ صف نوافذ مستطيله والصف الثانى صغير ومربع شكلا . وقد حصرت كل النوافذ بحيث اصبحت داخل الحنايا وعلى ذلك فقد اصبحت كل حنية من الحنايا تحتوى على ثمانى نوافذ . ومعنى هذا ان الواجهة تحتوى على (٩٦) نافذة . وقد وزعت هذه الحنايا بحيث اصبحت واجهة المدرسة الشافعية .





جامع السلطان حسن

تحتوى على ست حنايا . اما ايوان المالكية الذى يطل على هذه الواجهة فتتوسطه حنية بها ثمانى نوافذ كذلك . كذلك تحتوى واجهة المدرسة المالكية على خمس حنايا . ويتوج هذه الحنايا ثلاثة صفوف من الدلايات الدقيقة . كما تنتهى الواجهة بستة صفوف من الدلايات تمتد بطول الواجهة كلها .

وعندما تقف امام المدخل الرئيسى وتريد ان تذهب الى صحن الجامع ، لا تشعر وانت سائر انك تتحدف شمالا ثم يمينا ، ثم شمالا . وتحس بتكييف فى الهواء نظرا لمساقط الهواء التى تتخلل البناء . فالمدخل ينقسم الى ثلاثة اقسام . الاوسط منها وهو الذى يوجد فيه فتحة الباب اذ يبلغ اتساعه (١٢) مترا . اما الجانبان فيبلغ اتساع كل قسم (٧) مترا تقريبا وقد زخرفت هذه الاقسام الجانبية للمدخل الرئيسى بزخارف منقوشة فى الحجر على شكل مربعات ومستطيلات فى ترتيب هندسى جميل ..

اما فتحة باب المدخل فتوجد فى تجويف عميق تعلوه طاقية تنتهى بنصف كره ، ولفت للانتقال من المربع الى الدائرة بصفوف من الدلايات بلغ عددها عشرون صفا . وقد جمعته بعض هذه الصفوف على هيئة مثلثات مما اكسبها منظرا جميلا . خلابا لا مثيل له فى الواجهات المصرية ، وان كان يشبه الى حد كبير زخارف الواجهات فى العمارة السلجوقية . ويكتنف هذا المدخل خنيتان يعلوهما دلايات ورصعت بالرخام الاخضر باشكال هندسية جميلة . وكتب اعلاها بالخط الكوفى المزدهر قوله تعالى : « انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله » يعلوهما تربيعتان كتب على احداهما بالكوفى المربع « لااله الا الله محمد رسول الله » وعلى الثانية اسم الخلفاء الراشدين الاربعة (ابو بكر - عمر - عثمان - على) .

وقد كان لباب المدخل مصراعان من الخشب المصفح بالنحاس المكفت بالفضة والذهب نقلهما السلطان المؤيد شيخ الى مسجده بالغورية

سنة ٨١٩ هـ (١٤١٦م) بعد ان دفع ثمنا لهما مبلغ ٥٠٠ دينارا واوقف على مدرسة السلطان حسن مدينة قها . ويتوج المدخل الرئيسى ستة صفوف من الدلايات تبرزعن سمت الواجهة بمقدار (١ر٥) متر . وتحكى نهاية الوجهات مقرنصات بارتفاع ستة مداميك وبرزت بمقدار ١ر٤٠ متر . كما أن اجزاء كثيرة فى المدخل وعلى جانبيه كان مزمعه تلبيسها بالرخام الملون ولم يتم .

وهذا الباب يؤدى الى مدخل مربع الشكل مكون من ثلاثة ايوانات مغطاه بمقرنصات تتوسطها قبة حجرية ملبسة بالحجر الاحمر . ويصدر هذا المدخل مسطبة تشغل احد الايوانات حلى صدرها بالرخام الملون الملبس فى رخام ابيض وشباك من الجص الدقيق . ودوائر ومستطيلات زخرفية دقت فى الحجر بدقة لا تقل عن الحفر فى الخشب او الجص .

ومن هذا المدخل يتوصل الى سلم ذى خمس درجات يؤدى الى دهليز معقود ينثنى الى اليسار وينتهى الى صحن كبير مفروش بالرخام الملون مساحته ٣٤ر٦٠ مترا فى ٣٢ مترا يتوسطه قبة الفسقية وقد اجرت بها عمارة فى سنة ١٠٨٨هـ - ١٦٧٧ م تعلوها قبة خشبية تقوم على ثمانية اعمدة . وقد كتب بدائر قبة الفسقية اية الكرسى تاريخ الفراغ منها .

ويحيط بالصحن من جهاته الاربع بايوانات المدرسة اكبرها ايوان القبلة اذ تبلغ سعته (١٩ر٢٠) مترا وعمقه (٢٨ مترا) . ويحيط به افريز من الجص نقشت عليه كتابات بالخط الكوفى المزهر على ارضية زخرفية ما نصه :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم .. انا فتحنالك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما . ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها

الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما » صدق الله العظيم .

وتتوسط دكة المبلغ ، وهى من الرخام يلفت النظر اليها تلبيى عمد الرخام الملونة فى نواصيها وبصدرة المحراب المغشى بالرخام الملون والمحلى بزخارف مورقة تتخللها عناقيد عنب وعلى جانبى المحراب لوحتان نقش عليهما .. « جدد هذا المكان المبارك حسن اغا فريندار الوزير ابراهيم باشا بيد الفقير محمد سنة ١٠٨٢هـ » .

ويجاور المحراب منبر من الرخام لباب مكسو بالنحاس المفرغ ويكتنف المحراب بابان يوصلان الى القبة خلف المحراب احدهما قبلى مغشى بالنحاس المكفت بالذهب وعليه اسم السلطان حسن والآخر فقدت كسوته .

وقد صممت ايوانات المدرسة الاربعة على شكل متعامد ، فيقابل ايوان القبلة وعلى نفس محوره الايوان الغربى (الحنابلة) وهو مساوله من السعة الا انه اقل منه عمقا . كذلك يقابل الايوان الشمالى (المالكية الايوانى الجنوبى (الحفيفية) وعلى نفس محوره . والايوانات متماثلان من حيث السعة والعمق . ويقع بجوار كل ايوان مىد الايوانات الاربعة المدارس المذهبية الأربع . والتى تتكون كل واحدة منها الايوانات وحدة معمارية متكاملة ومستقلة عن غيرها المبانى اذا تتكون كل مدرسة من صحن يتوسطه فسقيه كما تحتوى على ايوان . وتحتوى كل المدرسة على ثلاثة طوابق تشتمل على غرف الطلبة والمدرس ويطل بعضها على صحن المدرسة والبعض الآخر على الواجهات الخارجية . وتعتبر المدرسة الحنفية اكبر المدارس اذ تبلغ مساحتها (٨٩٨) مترا . وتحتوى بعض الايوانات على شريط من الكتابة يحيط بصحنها جاء فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . ان قلناهم فى الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاه وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور ، اللهم اكثر الخير واتبع العطاء ، نسألك وانت خير مسئول دوام الدولة من أسس هذا الخير واصلة السلطان الأعظم الما .. والمساكين .. فى عقبة » .

كما كتب فى المدرسة الحنفية النص التالى : « بسم الله الرحمن

الرحيم ان المتقين فى جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما فى صدورهم الى قوله وما هم منها بمخرجين . اللهم يادائم لا يغنى يامن نعمه لا تحصى ادم العز والتمكين والنصر والفتح المبين ببقاء من ايدت به الاسلام والمسلمين .. حسن ابن مولانا السلطان ال .. عنه على ما وليته وخلدة فى ذريته كتبه حامى دولته وشاد عمارته بن بيليك المحسنى » .

وحينما اغتيل السلطان حسن (٧٦٢هـ - ١٣٦١م) كانت المدرسة كاملة عمدا بعض اعمال تكميلية اتمها من بعده الطواشى بشير الحمدان . منها اعمال الرخام الملون وقد سجل هذا على ابواب المدارس جميعا

ويسترعى النظر فى كسوه ابواب المدارس احكام ودقة تكوين مزورات اعقابهم الرخامية وتطعيم القاشانى النفيس المكتوب فى لفظ الجلالة ..

غير ان وفاة السلطان حسن قبل اجراء باقى الاعمال التكميلية ليس معناه ان المدرسة لم تفتح فى حياته ، فقد احتفل السلطان حسن بافتتاحها وصلى بها الجمعة وانعم على البنائين والمهندسين واقيمت بها الدروس فى حياته ايضا . كما حرر لها وقفية مؤرخة فى شهر رجب سنة ٧٦٠ هـ - ١٣٥٩ م وفرشها وعلق بها الثريات والمشكاوات .

القبـــة

وتقع القبة خلف جدار القبلة ، وهى مربعة الشكل يبلغ طولها (٢١) مترا وارتفاعها الى نهاية القبة ٤٨ مترا . وقد زخرف مربع القبة وعلى ارتفاع ثمانية امتار شريط من الكتابة مدهون على خشب نصها بسم الله الرحمن الرحيم . الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم .. حتى نهاية آية الكرسى » كما جاء فى الشريط الكتابى تاريخ الانتهاء من بناء القبة » وكان الفراغ من هذه القبة المباركة فى شهور ستة اربع وستين وسبعمائة وصلى الله على  محمد » ويأتى بعد الشريط الكتابى منطقة الانتقال التى ملات الاركان بالمقرنصات الخشبية المحلاة بزخارف مدهونة بطلاء ذهبى ، كما طليت كذلك النوافذ التى تفتح بها اركان المقرنصات بطلاءات متعددة الالوان . يغلب عليها اللون الذهبى والأزرق الداكن . وقد كانت القبة الاصلية خشبية ومغطاه من الخارج بطبقة من الرصاص على غرار

قبة الامام الشافعى وجامع بيبرس بالظاهر وقبة قلاوون . وقد سقطت هذه القبه (سنة ١٠٧١هـ - ١٦٦١) وحلت محلها قبة ذات قطاع مدبب ويحيط بها من الخارج دعامات اسطوانية الشكل . وباطنها حامل بالزمازف والرسوم الزيتية وكانت اكثر ارتفاعا مما هى عليه الان . ثم نقص ارتفاعها عندما جددها ابراهيم باشا سنة (١٠٨ رهـ ١٦٧١م)

ويتوسط القبة تركيبة من الرخام نقش عليها تاريخ انشائها فقد جاء فيها .. انشئت (سنة ٨٧٦ هـ ١٣٨٤م « برسم تربة السلطان السعيد الشهيد الملك الناصر حسن وذريته » .

ولكن من المعروف ان السلطان حسن لم يدفن فيها . ولكن دفن فيها ابنه الشهاب احمد المتوفى « سنة ٧٨٨هـ ١٣٨٦م » وفى الضلع الشرقى من القبة يوجد محراب مجوف كسى بالرخام الملون الدقيق الصنع كما وجد بالقبة كرسى مصحف من الخشب المصنوع بطريقة الحشوات المجمعه والمطعم بالصدف والعاج .

وكانت مدرسة السلطان حسن تحتوى على الكثير من المشكاوات والقناير المعدنية . كما يدل ذلك السلاسل التى ما تزال تتدلى من اقباء الايوانات الاربعة . وقد فقد معظمها ولم يبق منها غير « ٣٤ مشكاه » من الزجاج المموه بالمينا .. التى تعتبر من روائع الفن الاسلامى بالنسبة للتحف الزجاجية كما بقى تنورات من النحاس المخرم الدقيق الصنع حفظا فى متحف الاسلامى بالقاهرة .

نظـــام المدرســـة

وقد قرر السلطان حسن قبل وفاته لهذه المدارس مدرسين ومراقبين وعين لهم المرتبات وقرر لكل مذهب من المذاهب الاربعة شيخا ومائة طالب . من كل فرقة خمسة وعشرون منعدما وثلاثة معيدون ، وعين مدرسا لتفسير القرآن وعين معه ثلاثين طالبا عهد الى بعضهم ان يقوموا بالملاحظة . وعين مدرسا للحديث النبوى . وكذلك لقراءة الحديث وثلاثين طالبا يحضرون يوميا ، عهد الى بعضهم ان يقوموا بوظيفة النقيب ، والبعض الأخر بوظيفة داع للسلطان عقب الدرس .

وعين بالايوان القبلى شيخا عالما مفتيا ورتب معه مقرئا مجيدا للقراءة على أن يحضر اربعة ايام من كل اسبوع ومنها الجمعة فيقرأ المقرئه ما يتيسر من القرآن وما يتيسر من الحديث الشريف وعين مدرسا حافظا للكتاب الله عالما بالقراءات السبع ليجلس كل يوم ما بين الصلاة الصبح الزوال بالايوان القبلى . وقارئا اخر يجلس معه ليلقن القرآن لمن يحضر عنده . ثم عين اثنين لمراقبة الحضور والغياب احدهما بالليل والآخر بالنهار واعد مكتبه عين لها والحق بالمدرسة مكتبين بمدرسهما لتعليم الايتام القرآن والخط ، وقرر لهم الكسوه والطعام ، فكان اذا اتم اليتم القرآن حفظا يعطى خمسين درهاما .. ويمنح مؤدية خمسين درهما مكافأة له .

ولما تولى السلطان المؤيد شيخ صرح (سنة ٨٢٥هـ ١٤٢٢م) بالاذان واعيد بناء السلم وركب باب يدل الذى اخذه لجامعة الملاصق لباب زويلة . فلما عاد المماليك الى مهاجمة القلعة من مئذنة المدرسة (٨٤٢ هـ ١٤٣٨م)امر السلطان جمقيق بهدم السلالم الموصلة الى المئذنة .

وقد ظلت مدرسة السلطان حسن قرابة واحد وخمسين عاما مغلقة فى العصر العثمانى حتى سنة ١٢٠٠هـ -١٧٨٥م) حيث اصلحها سليم اغا . وفتحى بابها وازال الحوانيت التى نشئت باسفلها وبنى لها سلالم ومسطبة جديده .

وقد بذلت لجنة حفظ الاثار العربية مجهودا كبيرا فى العصر الحديث فاكملت بناء مناريها واصلحت جدارنها ورخامها وتجارتها وارضية الصحن الرخامية . وان كانت المدرسة فى حاجة شديدة الى بعض الترميمات وفرش القبة بالسجاد الجيد حتى يعود للمسجد رونقه . وانك اذا وقفت يوما واحدا فى جامع السلطان حسن . لاخذتك الدهشة من رؤية الاف السياح من انحاء العالم وهن يغدون كل لحظة افواجا افواجا لمشاهدة هذا الاثر الاسلامى الضخم .. ولامنت بتلك الكلمات التى قيلت :

« اذا كان لمصر الفرعونية ان تفخر بأهراماتها فان لمصر الاسلامية أن تتيه فخرا بمدرسة السلطان حسن التى لايضاهيها اى اثر اسلامى اخر . .



المحراب والمنبر في صحن مسجد السلطان حسن

تصميم وإخراج الفنان: محمود عرفة